جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية **الموسم الجامعي :2026/2025**

جذع مشترك علوم إنسانية **السداسي الأول**

محاضرات مقياس: الدولة العثمانية

التوسع العثماني في بلاد المشرق

كانت الدولة العثمانية حتى مطلع القرن السادس عشر تقوم على أرض أوربية في البلقان بصفة رئيسية، إلى جانب الأناضول. فكانت الدولة العثمانية وقتئذ دولة بلقانية أناضولية، كما كانت الولايات العثمانية البلقان هي أهم ولايات الدولة. وظلت العاصمة تنتقل بين الأناضول والبلقان حتى استقرت في القسطنطينية (استانبول) على أطراف الأرض الأوربية الشرقية. وفي عهد السلطان سليم الأول (1512-1520) حدث انقلاب في استراتيجية التوسع العثماني، فتوقف زحف العثمانيين صوب الغرب(أوربا) أو كاد، واتجهت الدولة العثمانية اتجاها شرقيا في قلب المشرق العربي. ويختلف المؤرخون في تفسير هذا الاتجاه نحو العالم العربي:

*-**أولا** : هناك فريق من المؤرخين يفسر تحول العثمانيين عسكريا نحو المشرق العربي بالقول أن الدولة العثمانية **كانت قد بلغت مرحلة لتشيع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وإنه** كان عليها أ، تبحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع. وبعبارة أخرى يرى هذا الفريق من المؤرخين أنه كان من المتعذر على الدولة العثمانية أن تتوغل في فتوحاتها وسط أوربا بعد المدى الذي وصلت إليه عندما ارتقى عرشها سليم الأول. وهذا التفسير لا يقبله بعض الباحثين لأنه ما إن تولى السلطان **سليمان القانوني (1520-1566**) الحكم بعد أبيه سليم حتى اندفع الجيش العثماني في قلي أوربا فاستولى العثمانيون على بودابست؛ واكتسحوا سهول المجر سنة 1526، ووصلوا إلى أسوار فيينا سنة 1529، كما واصل خلفاؤه سياسة التوسع في الجبهة الأوربية.*

*– **ثانيا**: وهناك فريق من المؤرخين يفسر هذا التحول العسكري العثماني أوائل القرن السادس عشر **بأحداث عالمية وقعت حول أطراف العالم الإسلامي؛ سواء الشرقية أو الغربية؛ والمتمثلة في الاعتداءات الإسبانية البرتغالية** التي أخذت تهدد أقطار الشمال الإفريقي وتسعى لاحتلالها وانتزاع السيطرة على مياه البحر المتوسط من أيدي العرب والمسلمين، بالإضافة إلى ازدياد **الخطر البرتغالي** في المشرق العربي، بعد أن التف حول إفريقيا وشرع في احتكار الجانب الأكبر من تجارة الشرق وتحطيم قوة العرب وتجارتهم في البحار الشرقية، ومحاولتهم تطويق العالم الإسلامي بالاستيلاء على قواعد ومحطات عند مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي كجزيرة **سوقطرة** والساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب؛ بل وتوجيه حملة بحرية لاحتلال جدة، بل حاول التسلل إلى داخل البحر الأحمر؛ أملا في النزول إلى الحجاز وانتهاك حرماته المقدسة، وهذا ما أجبر العثمانيين إلى التحرك من أجل إنقاذ الإسلامي عامة والمقدسات الإسلامية خاصة بصورة خاصة من هذا الخطر الصليبي.*

***ثالثا**– ويبرر مؤرخون آخرون هذا التوجه نحو الشرق؛ **برغبة السلطان سليم الأول في ضم العالم الإسلامي لدولته**، ليجعل منه دولة واحدة وحتى يدعم مركز الدولة العثمانية كدولة إسلامية سنية في مواجهة الدول الأوربية والتوسع الشيعي الصفوي.*

***رابعا**– وهناك من المؤرخين من يربط التحول العسكري العثماني نحو الشرق **بالخطر الصفوي الذي يعتبر من الأسباب الهامة التي جعلت الدولة العثمانية تتجه نحو الشرق للحد من التدخلات والفتن التي يثيرها الصفويون في آسيا الصغرى**. لذلك كان الفتح العثماني للبلاد العربية في بداية لقرن السادس عشر نتيجة من نتائج الصراع السياسي والمذهبي بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، فظهور هذه الأخيرة على مسرح الأحداث كان وراء تحول وجهة العثمانيين من الغرب إلى الشرق، لأن ظهور الصفويين معناه منافسا خطيرا وعنيدا وصلبا لم تعهده الدولة العثمانية من قبل لجملة من الاعتبارات منها: منافسة العثمانيين في منطقة الأناضول ومحاولة إثارة*

الفتن والقلاقل وتأليب أوضاعها الداخلية على العثمانيين، ومحاولة الاتصال بالبندقية والبرتغال لإيجاد حلفاء لها، وأيضا تبني الدولة الصفوية في فارس المذهب الشيعي وإقدامها على غزو العراق ومحاولتها نشر مذهبها خارج حدود إيران في المناطق المجاورة خاصة في شرق الأناضول، مما أرغم العثمانيين على الخروج لحماية آسيا الصغرى وخاصة والعالم السني عامة من الزحف الشيعي. لذلك اتجهت العلاقات العثمانية لصفوية نحو التأزم عندما استلم **سليم الأول** (**1512–1520**) زمام الأمور في الدولة العثمانية؛ طالب منذ البداية بعمل قوي ضد **الشاه إسماعيل**(**1502–1524**) لهذا أجبر أباه بايزيد الثاني على التنازل له عن السلطة، وكانت أولى خطواته حصوله من شيخ الإسلام **صاري جوريز** على فتوى تخرج الشاه إسماعيل وأتباعه من الجماعة الإسلامية، وجاء فرار الأمير أحمد أخ السلطان سليم إلى الصفويين الذي استغلوه لتأليب المعارضة داخل أراضي الدولة العثمانية ليشعل فتيل الحرب بين الدولتين، حيث التقى الطرفان في 23 أوت 1514 في **جالديران** شمال تبريز عاصمة الصفويين، وكانت النتيجة انكسار الصفوية وتشتتها، وقد انتصر السلطان سليم بفضل أسلحته النارية المتطورة، وتمكن إسماعيل الصفوي من النجاة بصعوبة بعد أن أصابه جرح وترك وحيدا، وبعد الموقعة استولى سليم على أذربيجان وضم إلى ملكه ولايتي ديار بكر وكردستان وماردين وشمال العراق، واحتل تبريز التي دخلها في احتفال كبير، حيث خطب باسمه في المساجد، وقام بحصر أموال الشاه واستولى على الخزائن ونقل آلافا من أبرز تجارها وحرفييها وعلمائها إلى الآستانة. ومع ذلك يرى أصحاب هذا الرأي أن موقعة **جالديران** لم تكن حاسمة، كما أن انسحاب سليم من الأراضي الفارسية عقب هذه المعركة مباشرة أعطى الصفويين الفرصة لامتصاص الصدمة فظلت دولتهم تسعى لإزالة آثار الهزيمة وتكوين جبهة ضد العثمانيين ومن أنصار هذا الرأي المؤرخ **ارنولد توينبي** الذي كان يرى أن حركة الشاة إسماعيل الصفوي في محاولة نشر المذهب الشيعي بين القبائل التركمانية في شرقي الأناضول؛ أثار السنة هناك، كما أثار المسؤولين في استانبول، فقام النزاع بين الدولتين الكبيرتين السنية والشيعية، وهذا النزاع قسم العالم الفارسي الموحد في ثقافته وفي اتجاهاته الفكرية إلى عالمين متنافرين أشد النفور: عالم شيعي صفوي، وعالم عثماني سني. ويعتبر **توينبي** أن استيلاء العثمانيين على الشام ومصر والعراق بل وحتى اليمن ليس سوى حلقة من حلقات الصراع بين العثمانيين والصفويين.

– ويؤكد المؤرخون أن الدولة العثمانية **كانت تسعى باستمرار للموازنة بين ما تحتله من أراضي في أوربا وبين ما يجب أن تمتلكه في الأناضول بحيث تتوازن الأراضي العثمانية في آسيا وأوروبا**، وكذلك يتوازن السكان المسلمون والمسيحيون من حيث العدد والنسبة التي تتكون منها العناصر الدينية.

فتح بلاد الشام ومصر:

اتهمت كل من الدولة العثمانية والمملوكية الدولة الأخرى اتهامات مختلفة، فاتهم المماليك الدولة العثمانية بتعرضهم لتجار المماليك، الذين يأتون بالمماليك الشراكسة إلى السلطة المملوكية في حين اتهم العثمانيون دولة المماليك بالتعرض لقوافل المؤن المتجهة العثمانية المتجهة نحو الجبهة الصفوية، كما اتهم سليم الغوري بإصدار أوامر إلى الأمير علاء الدين حاكم إمارة ذي القدر المشمولة بحماية المماليك بمنع تقديم المؤن والأغذية اللازمة للجيش العثماني أثناء توغله في فارس؛ مما أعاق زحفه بعض الوقت، وبذلك أصبحت الظروف مهيأة للحرب وبخاصة العثمانية بعد أن هروب الأمير **قورقود** أخ السلطان سليم إلى مصر، والذي استجار بالغوري فأجاره، فأرسل سليم يطلبه من الغوري، فأبى المماليك تسليمه إلى السلطات العثمانية، وهو ما أدى إلى اشتداد العداوة بينهما.

أحس السلطان **قانصوه الغوري**(**1501–1516**) أن العثمانيين يتطلعون للسيطرة على مملكته، وسار بقواته إلى حلب وسرعان ما جوبه بالحشود العثمانية، والتقى الطرفان عند **مرج دابق** شمالي حلب في **24 أوت 1516**، فحصدت المدفعية العثمانية فرسان المماليك خلال ساعات، وحاقت هزيمة فادحة بالجيش المملوكي، وفر **قانصوه الغوري**، ولكنه سقط ميتا على فرسه، وقيل سقط من فوق حصانه من هول الصدمة وضاعت جثته بين آلاف الجثث وقيل أن أتباعه عندما وجدوه ساقطا على الأرض قطعوا رأسه وألقوها

في بئر حتى لا يجدها العثمانيون، وذكر ابن أجا أن من أسباب انتصار العثمانيين خيانة قادة المماليك خاير بك نائب حلب الذي انضم إلى صفوف الجيش العثماني أثناء المعركة، وخيانة **جان بردي الغزالي نائب حماة الذي كان على اتصال سري بالعثمانيين قبل المعركة، وإبراهيم السمرقندي** واستخدام العثمانيين المدفعية أي استخدام السلاح الناري مقابل تمسك المماليك بسلاحهم التقليدي العادي مثل السيف والحربة، والاعتماد على قوة الفرسان، إلى جانب سلامة الخطط العسكرية العثمانية، ومعنويات الجيش العثماني العالية وتربيته الجهادية الرفيعة. بالإضافة إلى فقدان الجيش المملوكي سند شعبي يسانده ويدعمه ويكون له عونا في هذا النوع من الحالات العصيبة، كنتيجة للسياسة الجائرة التي سلكها المماليك مع شعوبهم. وأيضا حرص السلطان الغوري على سلامة مماليكه وتخصيصهم لحمايته، فلم يدفع بهم إلى القتال وبالمقابل رمى بمماليك السلاطين القدامى والأمراء في لضى المعركة، وذلك للتخلص منهم، وكانت النتيجة أن تقاعس هؤلاء المماليك في خوض غمار المعركة. وبعد أيام من معركة مرج دابق وسع سليم نطاق عملياته الحربية فتساقطت تباعا وبسهولة في يده المدن الشامية الكبرى: حلب حماه، حمص ودمشق، وتسابق أمراء البلاد إلى إعلان الولاء للحكم الجديد، وكان على رأسهم قضاة المذاهب الأربعة ونقيب الأشراف، وخطب باسم سليم في المسجد الأموي، ولقب " خادم الحرمين الشريفين" ، وسكت النقود باسمه سلطان وخليفة. حيث لقي سليم الترحاب من ساكنة بلاد الشام الذين استقبلوه بالمصاحف على أسنة الرماح، وهو ما يؤكده **ابن إياس** الذي يقول: " **خطب باسمه دعي له على المنابر في مدينة حلب وأعمالها، ولما صلى بها صلاة الجمعة زينت له مدينة حلب ووقد له الشموع على الدكاكين وارتفعت له الأصوات له بالدعاء**"، ويقول أيضا **محمد كرد علي** في **خططه** في هذا السياق:" **وافى السلطان سليم مدينة حلب فاستقبله أهلها بالمصاحف والأعلام يجهرون بالتسبيح ويقرأون " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" وطلبوا منه الأمان فأمنهم وأنعم عليهم ...وخطب في هذا اليوم في الجامع الأموي...وكذلك في سائر الجوامع**" . أقام السلطان سليم الأول في دمشق قرابة شهرين، ومنها واصل زحفه جنوبا إلى مصر، وكان المماليك في مصر قد اختاروا **طومان باي** سلطانا للدولة المملوكية، واستعد لمواصلة الكفاح، وفي الطريق إلى الرملة أعمل السيف في أهلها لثورتهم على العثمانيين، **ثم تقدم إلى القدس حيث تسلم مفاتيحها، وأرسل إلى طومان باي سلطان المماليك في مصر يعرض عليه الصلح، إلا أن طومان باي** قتل الرسل، وأعلن النفير العام، ودعم قواته في غزة.

اتجه سليم الأول إلى غزة فهزم المماليك، وأقام مذبحة لأهلها لثورتهم على العثمانيين، وفي 22 يناير 1517 التقى العثمانيون والمماليك في **الريدانية بين المطرية والجبل الأحمر**، وأنزلت المدفعية بالمماليك هزيمة شديدة، ودخل العثمانيون مدينة القاهرة، وخطب للسلطان سليم على منابرها. وقد ذكر أن مصير مصر قد تقرر لساعة واحدة، فر السلطان **طومان باي**، ولكنه أعدم بعد القبض عليه، وتقول الروايات أن سليما كان يريد الإبقاء على **طومان باي** لولا أن خاير بك وجان بردي الغزالي أوغرا صدره عليه، فأمر بشنقه عند باب زويلة في 13 أفريل 1517؛ بعد أن سلمه شيخ بدو البحيرة إلى العثمانيين. فصاح **سليم الأول "الحمد لله أستطيع القول أننا ملكنا مصر"**. مكث **سليم الأول** بعض الوقت في مصر، فاستقبل سفراء الدول الأوربية، ونظم البلاد، ثم عاد إلى الآستانة، مصطحبا معه الخليفة العباسي المتوكل على الله، واختلف الرواة حول مسألة تنازل المتوكل على الله عن الخلافة، فذكر الدكتور **علي حسون** أنه تنازل عن الخلافة وسلم الآثار النبوية البردة واللواء، في حين ذكر **فيليب حتي " كان موت الخليفة آخر فصل في تاريخ الخلافة العباسية، وسواء تنازل عن منصبه للسلطان العثماني أم لم يفعل فإن الحقيقة الثابتة هي أن الحاكم في القسطنطينية ظل يتمتع بالتدريج بامتيازات الخليفة حتى انتهى به الأمر إلى انتحال اللقب نفسه...**" . وهكذا طويت صفحة دولة المماليك، وتحولت مصر والشام إلى ولايتين عثمانيتين.

خضوع الحجاز للعثمانيين"

*كان الحجاز يتبع مصر، لأن الحجاز بلاد فقيرة، ويعيش على الأوقاف المصرية المحبوسة على فقراء مكة والمدينة وعلى الحرمين الشريفين، ولذا عندما سقطت دولة المماليك في يد العثمانيين انتقلت مسؤولية الدفاع عن الأراضي المقدسة الإسلامية في الحجاز إلى الدولة العثمانية، وكان السلطان **سليم الأول** حريصا على ضم الحجاز لأهميته الدينية. فكتب إلى شريف مكة **زين الدين بركات بن محمد** (حكم 1497-1525) يدعوه إلى قبول السيدة العثمانية، وسرعان ما وصلت بعثة يرأسها ابن الشريف الأكبر **محمد أبي نمي** المكنى **بأبي الحسن** ومعه مشايخ طوائف الأعراب لتهنئة السلطان سليم بالفتح وعرض الطاعة والولاء، وسلم إليه مفاتيح الكعبة، والآثار النبوية الموجودة في مكة والمدينة المنورة، وأقر بخضوع شريف مكة للسيدة العثمانية، فأخلع السلطان عليهم وأحسن إليهم جميعا. وكان من نتيجة بسط السيدة العثمانية على الحجاز محاولتهم دفع الخطر البرتغالي عنه، ومنع دخول المراكب المسيحية في البحر الأحمر، وقد ظل هذا التقليد حتى أواخر القرن الثامن عشر. وأكرم السلطان **أبي نمي** ومنحه تفويضا بحكم والده، وقد قرئ هذا التفويض في مكة وسط احتفال كبير. وبذلك أصبح السلطان سليم خادما للحرمين الشريفين وأصبحت مكانته أقوى أمام الشعوب الإسلامية. وهكذا أصبحا الحجاز تابعة للإمبراطورية العثمانية.*

العثمانيون والجزيرة العربية:

*أعلن الحكام المماليك في اليمن ولاءهم للسلطان العثماني وصارت الخطبة باسم السلطان. إلا الأوضاع اضطربت في **اليمن**، وفي سنة 1538 نجحت حملة عثمانية من إعادة اليمن وسيروا على تهامة وزبيد وعدن، غير أن الزبيديين قاوموا الحكم العثمانيين، مما جعل العثمانيون يرسلون حملة سنة 1568 بقيادة **سنان باشا** لفتح اليمن ثانية. ولكن الإمام الزيدي نجح في إخراج العثمانيين من اليمن سنة 1635، ومد العثمانيون غزواتهم المنتصرة إلى الخليج العربي، وسيطروا على عمان والإحساء والبحرين والكويت. وبذلك أصبحت أراضي شبه الجزيرة العربية ملحقة بالإمبراطورية العثمانية اسميا، كما جابهت البحرية البرتغالية، وانتزعت منهم هرمز ومسقط، وأجبرت البرتغال على التخلي عن مشروعاتها نهائيا في البحر الأحمر.*

فتح العراق:

*خضع العراق الأوسط والجنوبي للصفويين سنة 1508، وقد رأى السلطان **سليمان العثماني** ضرورة انتزاع العراق من أيدي الصفويين لإكمال الحصار البري والبحري حول الدولة الصفوية وعزلهم تماما عن الوطن العربي، والقضاء على أي احتمال بدون اتصال بحري بين البرتغال والصفويين، وعدم السماح للصفويين بتعاظم قوتهم من جديد ولا سيما وأن **الشاه طهماسب** الصفوي حاول عقد حلف مع الملك المجري ضد العثمانيين. قاد السلطان سليمان حملة هزمت الصفويين، وانتزعت منهم بغداد ومناطق إيرانية عام 1534، إلا أن الصفويين استعادوا العراق، فجرد العثمانيون حملة أخرى سنة 1538 أعادت العراق نهائيا إلى العثمانيين. أما البصرة فقد أعلن حاكمها ولاءه للسيادة العثمانية، وبهذا أصبح العراق ولاية عثمانية.*

انضواء أقطار المغارب تحت حكم الدولة العلية:

استغل الإسبان حالة التفكك التي رانت على بلاد المغرب العربي، بعد سقوط غرناطة سنة 1492، وتابعوا محاولاتهم تنفيذ وصية الملكة ايزابيلا باحتلال شمال إفريقيا وتحويل أهلها إلى المسيحية، لذلك ما كاد القرن السادس عشر يطلع حتى كان الإسبان والبرتغاليون يحتلون العديد من المراسي والمدن الساحلية في أقطار المغارب.

تفهم خير الدين المقيم بالجزائر خطورة الوضع بعد استشهاد أخيه مع جماعته قرب مقطع **الواد المالح** بناحية مدينة وهران في ماي 1518، ومن أجل دعم موقفه رأى ضرورة توسيع باب الاتصال بالدولة العثمانية وتمتين العلاقات السياسية والعسكرية معها، خاصة أنه واقع فرضه الوضع الجديد، ولهذا أُيد سكان مدينة الجزائر خير الدين؛ عندما طلب منهم أن يكتبوا رسالة إلى السلطان

العثماني يعلنون له فيها طاعتهم له والانضواء تحت لواء دولته ، وهي الرسالة التاريخية التي كتبوها في أوائل نوفمبر1519 م وحملها وفد خاص يرأسه أبو العباس أحمد بن القاضي كسفير للباب العالي إلى استانبول، لربط البلاد بالإمبراطورية العثمانية، ونتيجة لهذه السفارة سارع سليم الأول بإرسال رتبة البايلرباي إلى خير الدين، واعتبر ابتداء من هذا الظرف الجزائر جزء من إمبراطورية آل عثمان ، وبعودة الوفد إلى مدينة الجزائر وقفوا بين يدي خير الدين، ووصفوا له أمر السلطان وأنه قبل طاعة أهالي الجزائر، وأذن لهم في صرف الخطبة والسكة إليه، وحدد المؤرخ التركي محمد شكري تاريخ عودة الوفد من الآستانة بعام 1520م، وهو التاريخ الذي تأسست فيه إيالة الجزائر في إطار التبعية العثمانية.

أما **طرابلس الغرب** فقد احتلها الإسبان سنة 1510، لكنها أصبحت تشكل معضلة سياسية واقتصادية للملك شارلكان، خاصة بعد استفحال الصراع بين الساسة الأوروبيين؛ وانشغاله بما عرف بالحروب الإيطالية، واكتشاف العالم الجديد؛ وعدم إمكانية القضاء على المقاومة بتاجوراء. لذلك أراد التخلص منها بطريقة تليق به كملك، فمنحوها لفرسان القديس يوحنا بعد أن وقّع الملك وثيقة التنازل عنها في قلعة فرانكو بتاريخ 23 مارس 1530م، فساموا أهلها سوء العذاب، فاستنجد السكان بالعثمانيين، فقاد سنان باشا حملة في أوت 1551 تمكنت من طرد الأوروبيين، وتحرير طرابلس، وجعلها من قواعد الجهاد البحري في شمال إفريقيا، وأصبح مراد آغا أول وال عثماني على طرابلس يعين من طرف سنان باشا مدى الحياة.

في الوقت الذي جددت فيها الدولة العثمانية أسطولها بعد هزيمة ليبانت 1571م، أخذت تفكر جديا في تخليص مناطق المغرب الإسلامي؛ حيث توجهت حملة عثمانية ضمت جيوش الإيالة الجزائرية وطرابلس والمشرق بقيادة سنان باشا وعلج علي، وافتكت على التوالي حلق الوادي وتونس عام 1574م، التي دخلت تحت نفوذ الأتراك ، وكان من جملة الأسرى محمد بن الحسن الحفصي الذي أرسله سنان باشا إلى الآستانة، فبقي معتقلا إلى أن قضى نحبه، وبموته انقرضت السلالة الحفصية بعد أن حكمت القطر الإفريقي ما يقرب 350 عاما، وبارتباط **تونس** بالدولة العثمانية، عرفت المرحلة العسكرية للباشوات (1574-1594م) وأضحت البلاد تحمي وتؤمن ظهر الدولة العلية.

وبذلك أصبح الشمال الإفريقي جميعه تحت سيادة الإمبراطورية العثمانية، حيث اعتبر السعديون أنفسهم أحق من العثمانيين في حكم المغرب، فهادنوا الإسبان، قاوموا المجاهدين الذين يتعاونون مع العثمانيين، وقد بقيت البلاد في عزلة حتى سقطت فريسة للنفوذ الأجنبي الاستعماري أوائل القرن العشرين. ويعزى فشل سلالة الحكم العثماني في تثبيت سيطرة دائمة على اليمن أو لتحقيق نجاح عسكري في المغرب جزئيا إلى المسافة البعيدة عن استانبول. ببساطة كان اليمن والمغرب بعيدين جدا عن مركز الإمبراطورية فلا يمكن شن حملة عسكرية طويلة الأمد على أي منهما، وعلاوة على طموحات العثمانيين الصعبة، فإن السلالات الحاكمة في كل من اليمن والمغرب تتباهى بنسبها الذي يرجع إلى واحد أو أكثر من أحفاد النبي محمد (ص)، وقدم غطاء الشرعية الدينية، الذي يمكن لأي من الخصوم أن يدعيه، نقطة تجمع سياسة قوية لأولئك الذين يعارضون توسع السيطرة العثمانية. وكان من الصعب على السلطان في استانبول أن يتفاخر بصدق على أي من المسلمين، أو على أولئك الذين في بلده بأن نسبه أفضل من نسب أنداده حينما واجه سلالات ادعت نسبها "للبيت النبوي الشريف".

كان المغرب الأقصى يعاني من ظروف الضعف والتأخر والتفكك التي كانت تسود البلاد، فقامت القوات الاسبانية والبرتغالية باحتلال معظم موانئه في الوقت الذي فشل فيه سلاطين بني وطاس في دحر المعتدين، ورغم النجاح الذي عاش في عزلة،

نتائج انضواء الوطن العربي تحت الحكم العثماني:

***النتائج بالنسبة للدولة العثمانية :**

- كان معظم رعايا الدولة العثمانية من الأوروبيين المسيحيين، وأكبر قسم من أرضها في أوربا، أما الآن وبعد أن فتحت البلاد العربية زادت نسبة الرعايا العرب المسلمين في الدولة زيادة كبيرة، فأصبحت دولة شرقية إسلامية تضم لرعايا أوروبيين مسيحيين، وأصبح لها سياسة إسلامية ومشكلات شرقية بالإضافة إلى مشكلاتها الأوربية.

- جعل لها التوسع الجديد أهمية كبيرة إذ حكمت رقعة من الأرض تمتد على مساحات شاسعة في قارات أوربا وآسيا وافريقيا، وكان عليها أن تواجه أعداء كثيرين، الإمبراطورية النمساوية المتاخمة لها، محاولات اسبانيا والإمارات الإيطالية فرض سيادتها على البحر المتوسط، أطماع الدولة الصفوية في العراق، تطلعات البرتغال للسيطرة على منافذ الجزيرة العربية المائية.

- عجز الدولة العثمانية عن تتريك العرب، بل ان اللغة التركية لم تستطع الثبات أمام اللغة العربية، فاضطر الأتراك إلى استعمال الحروف العربية، وشكلت الكلمات العربية 40% من مفردات اللغة التركية، فإذا كان الترك انتصروا على العرب باحتلال أراضيهم فإن العرب قد فرضوا ثقافتهم على الأتراك.

النتائج بالنسبة إلى العرب:

- سيطرة العثمانيين على أقطار الوطن العربي وحدها في إطار سياسي واحد بعد أن كانت كيانات متنافرة؛ وتكاد تكون متباعدة عن بعضها البعض، ولا يخفى ما لذلك من قيمة في المحافظة على الوحدة العربية والثقافة.

- يعتقد البعض أن السيطرة العثمانية على أقطار الوطن العربي قد وقف أمام خطر الصفويين الشيعة لنشر مذهبهم والسيطرة على الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء.

- استطاع العثمانيون وقف توغل البرتغاليين في البحار العربية (البحر الأحمر والخليج العربي) بعد أن عجز المماليك وحلفاؤهم العرب في الوقوف أمام تهديدات البرتغال خاصة بعد انهزام التحالف العربي المملوكي أمام البرتغاليين في موقعة "ديو" البحرية عام 1509.

- استطاع العثمانيون ملاحقة فرسان القديس يوحنا وطردهم من ليبيا عام 1551 بعد أن سبق لهم أن طردوا من رودس التي انتقلوا إليها بعد طردهم من فلسطين على زمن سلاطين المماليك في مصر والشام.

- استفادت شعوب الأمة العربية الإسلامية من الحكم العثماني في تقوية الحياة الدينية، ذلك أن الحكام الأتراك حافظوا على مشاركة الشعوب العربية في الاحتفالات الدينية ومراعاة الشريعة الإسلامية.

- استفادت الشعوب العربية من كون الحكم العثماني للأقطار العربية كان حكما غير مباشر، حيث لم يتدخل العثمانيون لتغيير البناء الاجتماعي والاقتصاد السائد في العالم العربي قبل القرن السادس عشر.

- انتقال عاصمة البلاد العربية إلى خارج الوطن العربي ولأول مرة تصبح اللغة العربية ليست اللغة الرسمية في البلدان العربية.

- فرض تقليد عثماني أثناء الصدام مع البرتغاليين يقضي بمنع دخول المراكب المسيحية في البحر الأحمر بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة للمسلمين في الحجاز، وهو التقليد الذي ظلت الدولة العثمانية متمسكة به حتى أواخر القرن الثامن عشر، وهذا التقليد قد أفاد أقطار الوطن العربي ومنع الدول الاستعمارية الأوروبية من تحقيق أطماعها في الوطن العربي.

ومع ذلك فقد ترتبت عن الحكم العثماني للأقطار العربية بعض **السلبيات** منها:

- فهم الدولة العثمانية لوظائف الدولة ومسؤولياتها نحو رعاياها، ذلك الفهم الذي يحصر مهمة الدولة في ثلاث أمور فقط هي: الدفاع عن الولايات العربية ضد أي اعتداء، وتحصيل الأموال الأميرية (الضرائب)، والفصل في الخصومات بين الناس.
- نظرة العثمانيين إلى المجتمع وتقسيمه إلى طبقتين متميزتين هما: الطبقة الحاكة التركية التي كونت داخل أقطار الوطن العربي ارستقراطية حاكمة، والرعايا العرب في بلادهم الخاضعة للحكم العثماني بتصوراته وفهمه.
- الشك وعدم الثقة في ممثلي السلطة العثمانية في الولايات العربية، وكانت نتيجة ذلك أن الوالي هو الذي ينوب عن السلطان في حكم الولاية، والذي كان يشعر بالشك في تصرفاته يخضع لرقابة قوى عثمانية أخرى.
- الرجعية وعدم التجديد- كانت السياسة التي جرى عليها الحكم العثماني في البلاد العربية رجعية- وهو ما أدى إلى استمرار تخلف الوطن العربي الاقتصادي وفقدان الكثير من مزاياه العلمية والثقافية والاجتماعية.
- الطابع العسكري للحكم العثماني في الأقطار العربية الذي تمثل في اعتبار الجيش العثماني أداة للحرب والحكم معا.
- سوء الإدارة العثمانية التي تجلت في الاهتمام بالمدن والبلاد الواقعة على سواحل البحار والطرق الرئيسية دون الاهتمام بالمناطق الصحراوية والريفية.
- إعطاء الأوروبيين امتيازات اقتصادية وثقافية ودينية في الأقطار العربية مما أدى إلى فتح الأقطار العربية للنفوذ الاستعماري الأوربي.
- فرض العزلة على الوطن العربي وحرمان الشعوب العربية من الاتصال بالحضارة الأوربية الناهضة بدعوى الخوف على الأقطار العربية من أطماع الدول الأوروبية الاستعمارية.

مصطلحات متداولة في الدولة العثمانية:

- **البلقان:** اصطلاح "بلقان" يرجع إلى أصل لغوي تركي يعني "الجبل"، ومنذ القرن التاسع عشر الميلادي؛ شملت هذه العبارة أشباه الجزر الثلاثة الواقعة شرق أوروبا، والمتداخلة مع البر الرئيسي، وهي التي تطلق اليوم على بلاد: اليونان، ألبانيا، يوغوسلافيا، بلغاريا، ورومانيا. هذه الأقطار تشترك في وحدة جغرافية وتراث سياسي امتد طيلة خمسة قرون من الحكم العثماني تقريبا.

الالتزام: نظام يقضي بتقديم دخل مالي من المتعهدين للحكومة، ثم يجمعه هو كما يشاء وتسانده قوة حكومية لجمعه، وقد سار الملتزمون الظلم حيث طبق في عهد السلطان أحمد سنة 1603 وألغي في عهد السلطان عبد المجيد سنة 1856م.

أوجاق: كانون، موقد، فصيل من الجند، مكان خاص بالخضروات في البستان.

اوده: (أوضه) غرفة، رابطة، قاووش، أو شقة صغيرة، مكان تقيم فيه الإنكشارية.

أورطة: فرقة من الجند.

الباب العالي: مقر الصدر الأعظم الذي يضم مستشاره ورئيس الشورى ووزيري الداخلية.